خط متحفّظ

غير انه بدا ان عنصراً جديداً طرأ، شجّع السوفيات على بذل مزيد من التحرك الدبلوماسي في مرحلة ما بعد معركة «الكرامة». هذا العنصر كان منبثقاً من معادلة جديدة تستند، في جانب منها، الى «الشرعية الدولية»، وفي الجانب الآخر الى تضمين عامل استراتيجي يبرره قرب وقوع منطقة النزاع من الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي[٩١]. ازاء ذلك، حذّرت صحيفة «ازفستيا» ساسة اسرائيل «وحماتهم» من الّا يتناسوا موقف الاتحاد السوفياتي والاقطار الاخرى من اصدقاء الدول العربية، مؤكدة ان هذه الاقطار سوف تسعى «بعزم» الى «وقف عدوان اسرائيل، وازالة كافة آثاره، تنفيذاً لواجبها، ووفقاً لميثاق هيئة الامم المتحدة، ولمصلحة تعزيز السلام». وفي افتتاحية خاصة بقلم «مراقب»، حذّرت صحيفة «برافدا» الاوساط الحاكمة في اسرائيل من مغبّة مواصلة العدوان واحتلال الاراضي العربية، وأوضحت ان الاتحاد السوفياتي سيقوم بالواجب الملقى على عاتقه «وفقاً لميثاق هيئة الامم المتحدة، والناجم عن القرارات كافة التي اتخذها مجلس الامن الدولي بشأن العدوان الاسرائيلي». وأشار التحذير، كذلك، الى ان هذا الواجب ملقى على عاتق الاتحاد السوفياتي، بوصفه بلداً يقع على مقربة مباشرة من منطقة النزاع، ويؤيد النضال العادل الذي تشنّه الشعوب العربية[٩٢].

وفي ثنايا العنصر الجديد في التحرّك الدبلوماسي السوفياتي كان ثمّة ضلع آخر، سائب بعض الشيء، أخذ يتحوّل، تدريجياً، نحو الاهتمام بحركة المقاومة الفلسطينية. ومن المنطقي القول، ان الاهتمام بالحركة الفلسطينية، والمساعدة التي قدّمتها الصين اليها، قد دفعت الاتحاد السوفياتي نحو هذا الاهتمام المستجد، كما انه من المؤكد ان الانتقاد السوفياتي المستمر للنفوذ الصيني «الوبيل» على الفلسطينيين أوحى، في حينه، بأن الاتحاد السوفياتي قبل تحدّي، ومنافسة، بكين تجاه الحركة الفلسطينية[٩٣]، الّا ان توقيت هذا التحوّل ـ الذي حدث بعد أربع سنوات من المبادرة الصينية ـ أوحى بأنه على الرغم من ان منافسة بكين قد تكون عاملاً هامّاً في صنع القرار السوفياتي في هذا الشأن، الّا ان الاسباب الحاسمة كانت من طبيعة أخرى، وربما قريبة من العامل المذكور[٩٤].

ما هو أكيد ان موسكو كانت ترى في المقاومة الفلسطينية، التي يواجه بها الاحتلال الاسرائيلي في الارض المحتلة، مواجهة حقيقية. وانطلاقاً من هذه النظرة، وصف القادة السوفيات المنظمات الفدائية الفلسطينية، بعد معركة الكرامة، بحركة تحرر وطنية، وقادتها بـ «وطنيين». وهذا التوجّه عبّر عنه، بوضوح، جاكوب ماليك في الامم المتحدة، في التاسع من آب (اغسطس) ١٩٦٨، حين أكد ان من حق الفلسطينيين مقاومة الاحتلال الاسرائيلي، «فالاحتلال لا بدّ من ان يلقى مثل هذه المقاومة»[٩٥].

هكذا بدأت وسائل الاعلام السوفياتية تركّز، باسهاب، على العمليات الفدائية داخل اسرائيل، وباتت تنشر مقاطع مطوّلة من البيانات التي تصدرها المنظمات الفدائية الفلسطينية. وعلى سبيل المثال، ذكّرت اذاعة موسكو مستمعيها بالمعارضة المتنامية «للمعتدي الاسرائيلي في الاراضي العربية المحتلة»، وبأن ثمّة «خسائر كبيرة أصابت سلطات الاحتلال في الجنود والمعدّات»[٩٦]. وكتبت صحيفة «ازفستيا»، انه بينما تحاول الحكومة الاسرائيلية ملاحقة نشاطات المقاومة بغرض تصفيتها، فانها، في الواقع، قد أخذت تنمّي روح المقاومة في الاوساط الشعبية في الارض المحتلة؛ وان «الدوائر الحاكمة في اسرائيل» قلقة جداً من تنامي هذه النشاطات، لأنها استطاعت احداث شرخ كبير بين السكان والسلطات المحتلة، ولا يمكن ان يصار الى تجسيره بسهولة[٩٧]. وذكرت اذاعة موسكو، ذات مرة، ان خلق شروط صعبة في وجه الاحتلال الاسرائيلي للمناطق المحتلة يجعل الاسرائيليين يفكرون، جدياً،